

في هولندا



الدولة التي أنزعت من الماء !

الهولنديون وكيف خلقوا هولندا !

الرمال ... والماء !

إن الماء في هولندا ... يقابل الرمال في الصحراء !

وكما قد يموت الاعراى عطشا في الصحراء ... يمكن أن يصبح الفلاح الهولندى فيجد أرضه وقد أغرقها المياه ...

وكما يمكن للبدوى أن يكون واحة في الصحراء بقبائل من الماء ، يمكن للهولندى بقبائل من الرمال أن ينشئ اقلية جافا أو أرضاً تصلح للزراعة يطلقون عليه هناك لاسم (البولدر)

وكما خلق الله الأرض ومن عليها ... خلق الهولنديون مملكتهم من جديد ! والماء في هولندا يوجد في كل مكان ... فهو يغمر أحواض الأنهار كلها ...

وطواحين الهواء المنتشرة في هولندا كلها لم تعد تؤدي وظيفتها السابقة وهي طحن الحبوب ولكنها اليوم تؤدي وظيفة أخرى هي امتصاص الماء من المناطق الواطئة ، وهكذا أمكن للهولنديين تسخير الهواء ضد عدوهم القديم وهو الماء !

وإذا قيل أن الهولنديين شعب مسالم فإن ذلك الوصف لا يتفق كثيراً مع الحقيقة إذ أنهم قد انتزعوا أرضهم من البحر خطوة تلو الخطوة بعد كفاح مرير طويل .

ومع ذلك فإنهم كثيراً ما كانوا يستعينون بالبحر ضد أعدائهم من الغزاة ... وإنه ليدعشك أن تزور اقلية من أقاليم هولندا الشمالية فيقول لك ذلك أو

زميلك الهولندى :

— نحن الآن في منطقة تنخفض عن سطح البحر بأربعة أو خمسة أمتار ! !

قد يكون من الصعب تصور ذلك ... ولكنها الحقيقة !

الجسور

وقد برع الهولنديون براعة عظيمة في إنشاء الجسور التي صدوا بها أمواج البحر وتمكنوا بواسطتها من انتزاع أرض بلادهم من البحر ، وهم يطلقون عليها اسم Dykes . أما الأماكن الجديدة التي تنشأ كنتيجة لارتداد البحر فهي التي يطلق على الاقليم منها اسم (البولدر)

وقد أتاحت لي الفرصة لزيارة أهم هذه الأقاليم الواقعة في الشمال وهو اقليم فرينجر مير وأكبرت ذلك العمل الجليل الذي قام به هذا الشعب النشط وعرفت أن عبارة " إن الهولنديين خلقوا هولندا " ، ليس فيها مبالغة ... وليتصور القارئ جزءاً من البحر يتحول إلى أرض ، وما يلبث النبات أن ينمو عليه ، والأنعام أن ترعى فيه !

في الحرب

ولقد أصر المستر بوتريمانز الهولندي الذي رافقني إلى هذه المنطقة أن يدفعني إلى زيارة المنطقة التي ألقى فيها الألمان قنابلهم على الجسور فهدمتها ، وكانت النتيجة أن أغارت مياه البحر من جديد على مناطق كانت آهلة بالسكان فأغرقها واكتسحت منازلها ...

ولم يقتصر الأمر على الألمان وحدهم فإن الحلفاء أنفسهم قد اضطروا في الأعوام الأخيرة من الحرب إلى إلقاء قنابلهم على الجسور في إحدى المناطق التي كان الألمان قد حصنوها تحصيناً قوياً وأنشأوا فيها كثيراً من الاستحكامات حتى يضطروهم إلى الجلاء عنها لما ألحق بهم الماء من الخسائر .

ولذلك كان ما عانته هولندا في الحرب يختلف عما عانته غيرها من الدول ، فانه لم يقتصر على تدمير بعض مدنها الكبيرة مثل روتردام ولكن جزءاً كبيراً من أرضها غاص تحت الماء من جديد نتيجة إلقاء القنابل على الجسور وتدمير أجزاء منها ، إذ ما لبثت مياه البحر أن تغلغلت في الحال خلال الأجزاء المهتمة وأغرقت الأراضي

الزراعية والقرى الواطئة ، وكان الماء قد سره أن يسترد من جديد تلك الأراضي التي كانت له في يوم ما ثم استلبت منه . . . !

وكان أعظم ما وقع من خسائر في بولدر « فرينجر مير » . . . ولكي يدرك القارىء شيئاً عن عظم المجهود الذى بذله المهندسون فى انتزاع هذه الأرض من خليج الزيدرزى نذكر أن مساحته بلغت ٥٠ ألف فدان كما بلغ طول الطرق التى انشئت فيه نحو ١٥٠ ميلاً ، كما شقت فيه ١٢ ترعة وأقيمت ٥٩ قنطرة . وقد قامت فى هذا (البولدر) ثلاث قرى ، بلغ عدد السكان فى إحداها ٧ آلاف زودوا بأحدث الآلات الزراعية ، وكانت أرضهم تنتج أفخر أنواع المحاصيل الزراعية . . .

وقد تبدد كل ذلك النصر عندما انقطعت الجسور وانطلقت مياه البحر تغير على اليابس . . . ذلك اليابس الذى خلقه الهولنديون وكان من مواضع فخرهم واستمر جهادهم من أجله ١٢ عاماً متتالية قبل الحرب حتى أن الألمان حسدوهم عليه . وقد ظن العالم بعد انتهاء الحرب أن إصلاح منطقة « فرينجر مير » ورد مياه البحر إلى قواعدها الأولى سوف يستغرق سنوات طويلة لا تقل عن السنوات التى استغرقها إصلاحها الأول ولكن يظهر أن الهولنديين حذقوا الإصلاح وعرفوا أسرار عدوهم القديم ، فسهل عليهم رده على أعقابها فى المرة الثانية بعد أن هزموه أول مرة .

ولما زرت فرينجر مير فى العام الماضى — رأيت بعينى أى مجهود قد بذل فى سبيل إصلاح هذا (البولدر) حتى أمكن رد المياه التى اغارت عليه . . . ورأيت كيف أصلحت الجسور حتى أمكنها أن تصد المياه وتحمى (البولدر) من جديد . . . وهكذا بدأت الحياة تدب فيه من جديد ، وبدأ السكان الذين هجروه يعودون إليه ويشرعون فى إصلاح الأراضي والمنازل التى هدمتها المياه . . .

بلد الزهور والفن والدراجات

أحب أن أطلق على هولندا الجميلة . بلد الزهور ، فأنت أينما سرت ترى باعة الزهور وهم يجرونها على عربات أو على دراجات ركبوا فوقها حاملات كبيرة حتى تتسع لأكثر عدد من الزهور ذات الألوان المختلفة الجميلة والأشكال البديعة . وإن خلا الكثير منها من الرائحة الذكية !

وصلت إليها فإذا بالأعلام تخفق فوقها هنا وهناك ولما سألت عن السبب علمت أن البلاد تحتفل بعيد ميلاد الأمير برنارد زوج ولية العهد الأميرة جوليانا . وهو أمير ألماني الأصل ولكنه تنحس بعد زواجه بالجنسية الهولندية . كما أنه والد أربع فتيات جميلات صغيرات ولدت الأخيرة منهن منذ عامين . والكبرى هي التي تتولى العرش بعد أن تتولاه الأميرة جوليانا ولية العهد

وأمر هذه الأسرة المالكة في أوروبا غريب حقاً فقد قدر لملكاتها منذ أكثر من مائة عام ألا يلدن غير الإناث ، والملكة الحالية وهلمينا لم تلد غير الفتيات كما أن ابنتها جوليانا لم تلد غير الفتيات ومنذ عامين عندما أذيع رسمياً أن الأميرة جوليانا تتوقع حادثاً سعيداً ظن الناس - كما يظنون كل مرة - أنها قد تلد ولداً هذه المرة ، وكانت الرابعة . وتراهن الكثيرون . ولكن الرهان كان في جانب الفتاة

بنسبة ١٢ - ١

وجاءت فتاة انضمت إلى أخواتها الثلاث ! ولو قدر أن تلد ولداً لأمكن أن تأمل هولندا أن تتمتع لأول مرة منذ سنوات طويلة جداً ، بملك حاكم !

ومع ذلك فالهولنديون يجزلون الحب لملكهم وهلمينا ولولية العهد الأميرة جوليانا ، ويحبون صغيراتها حباً جماً بل ويفخرون بهن . كما أنهم يحترمون زوجها الأمير برنارد ويقدرون إخلاصه لوطنه الجديد وتفانيه في خدمته

بلاد الدراجات

وبعد ! فقد كان أول ما استلفت النظر في تلك البلاد الجميلة العدد الهائل من الدراجات التي يستعملها السكان من الرجال والنساء ويظهر أن الهولنديين لا يستعملون الدراجات لنقص وسائل المواصلات الأخرى ولكن لأنهم يحبونها فعلا وقد أغرموا بركوبها وقد علمت من أحد الموظفين الرسميين أن عدد الدراجات بلغ في هولندا قبل الحرب الأخيرة ، نحو ٣ مليون دراجة أى أن كل ثلاثة من سكانها يملكون دراجة . أو بلغة أوضح - أن واحداً من كل ثلاثة من عدد السكان يملك دراجة .

وقد أعدوا للدراجات طرقاً خاصة تسير عليها الى جانب طرق السيارات والطريق المخصص للمشاة . كما أعدوا لدراجات النساء سلاسل خاصة تثبت فيها من الأمام أو من الخلف ليحملن فيها أطفالهن الصغار . ومن المناظر المألوفة هناك أن ترى سيدة تركب دراجتها وقد حملت طفلاً في السلة الخلفية وطفلاً آخر في الأمامية وكل شيء يسير . . على ما يرام !

ومملكة هولندا التي تحتفل هذا العام بعيد ميلادها الستين وبانقضاء نصف قرن على حكمها ، مملكة هولندا لديها دراجتها وهي تتركبها حتى اليوم ، وكثيراً ما يشاهدها الأهالي في نزعتها على الدراجة

كذلك شأن الأميرة جوليانا التي كثيراً ما كانت تشاهد ، قبل زواجها ، وهي تنزه على دراجة الى جانب دراجة والدتها الملكة !

ولعل الدراجات هي التي أنشأت من الهولنديين هذا الجيل السليم القوى من الشبان والشابات الذين تشاهدهم فتدهش للحمرة التي تعلو وجوههم دون استعانة بأي نوع من المساحيق ، هذا الى جانب العضلات القوية والبنية الصحيحة . ومع هذا فقد أفسدت الدراجات من سيقان الفتيات وكونت لها عضلات من الخلف قد يعتبرها بعضهم من مواضع النقد ، وقد يرى غيرهم هذا الرأي !

بلاد الموسيقى !

وهى بلاد الموسيقى والفن . . فقد رأينا عربية كبيرة أشبه بعربات الكارو فى بلادنا تجوب الطرقات ، هى وكثير من مثيلاتها ، وعليها آلة أشبه بالعازف (البيانو) الميكانيكى التى تجوب طرقات القاهرة لولا أن هذه الآلة تضم عدداً كبيراً من أصوات الآلات الموسيقية التى يعزفها أوركستر كامل ومع ذلك فكلها تدار بطريقة أوتوماتيكية بواسطة رجل واحد ، وزميله يجمع له المال من المارة .

والهولنديون يحبون هذه الآلة حباً جماً وهم يقبلون على تشجيع أصحابها بل وبعضهم يحلو له أن يرقص على نغماتها فى أيام الاحتفالات .

وأنت لا تكاد تمر فى شارع من الشوارع إلا وتقابلك عربية من هذه العربات الموسيقية المتنقلة ، وتسمع منها النغمات الشجية اللطيفة ، التى يخيل لك لو سمعتها دون أن تعرف مصدرها أنها صادرة من فرقة موسيقية حقيقية كامة العدد والعدد !

فنانون خالدون

والفن ! انه فن رميرانت الخالد وفن هالز وغيرهما من الأساطين ! كان من الأماكن التى قادنى اليها الدليل تمثال رميرانت ثم منزله ، وقص على قصته فقال انه لما ماتت زوجة رميرانت احتفظ الفنان بخادمتة الجميلة التى كانت تفهمه وتعجب به وتعطف عليه . الا أن الناس ، وكانوا شديدي التعصب لمبادئ الدين وقتئذ ، لم يغفروا له ذلك ولم يلبثوا ان اعرضوا عنه وعن صورته . فلما عضه القفر بأنيابه باع المنزل وانتقل الى منزل آخر . وهناك بدأ يعمل بجده واجتهاد . وهناك رسم رميرانت أبداع صورته الخالدة التى تقدر الواحدة منها اليوم بألاف الجنيهات

ولقد وقفنا طويلاً أمام صور رمبرانت والواقع أنه حتى ذلك الشخص الذى لا يعرف الفن أو يفهمه يقف مذهولاً أمام تلك الصور . إنه يؤخذ بشيء واحد فيها وهو أنها ليست صوراً ميتة كأي صور أخرى ولكنها تجرى فيها الحياة وتكاد تنطق بما أراد الرسام الخالد أن يعبر عنه على وجوه أصحابها !

وهذا هو الشأن أيضاً فى صور هالز الذى تميز بقدرته على رسم صور تتمثل السعادة على وجوه أصحابها حتى ولو كانوا من الفقراء أو المتعبين !

ولقد بلغ من غرام الهولنديين بالفن وأعجابهم به أن عدواه انتقلت كذلك الى مملكتهم وهلمينا التى تسك الريشة هى الأخرى وترسم

ولأول مرة فى حياتها أرسلت بعض الصور التى رسمتها بريشتها الى معرض أقيم فى لندن فى العام الماضى



تطالب باحياء ألمانيا

إن بعض شعوب أوروبا اليوم تترحم - صادقة - على ألمانيا ...

وهي ترجو لها الخلاص من الاحتلال ، وتتمنى أن تعود لها مكائنها في عالم الاقتصاد والتجارة الأوربية . وهذه الدول التي ترجو لألمانيا الحياة ليست مدفوعة إلى هذا الرجاء بحب مفقود يجمع بينها وبين الدولة التي حكمت خمسة أسداس أوروبا في يوم ما ... ولكنها مدفوعة إلى ذلك بمصلحتها الخاصة التي كانت مرتبطة بمصلحة ألمانيا فلما انهارت ألمانيا تعطل الكثير من مصالح هذه الدول .

وهولندا - أو الأراضي المنخفضة - مثل هذه الدول التي من مصلحتها أن يدب النشاط الاقتصادي والتجاري في ألمانيا من جديد فإن موقعها الجغرافي عند مصب نهر الرين الذي يجري في ألمانيا يجعل منها المخرج الطبيعي لتجارة الرين التي تصدر من موانئها ...

قال لي في ذلك متحدث باسم الحكومة الهولندية ، هو المستر ما كسيناغ رئيس بلدية أمستردام : « لقد كان الزائر لمدينة روتردام قبل الحرب يكاد يعتقد تماماً أنه في ميناء ألماني وكانت اللغة الألمانية تستعمل هناك أكثر من الهولندية ... » وكذلك كان أكثر من ستمين في المائة من السائحين الذين يزورون هولندا - قبل الحرب - من الألمان ... »

... واليوم !

أما اليوم فقد نزل إيراد روتردام من التجارة حتى وصل إلى عشرة في المائة فقط عما كان عليه قبل الحرب ... وذلك بسبب وقف العمل في دولااب الصناعة الألمانية ... وقلت لمحدثي : ولكن الجلفاء الذين احتلوا ألمانيا ما زالوا يستوردون البضائع اللازمة لها ، وهم يصدرون القليل مما تنتجه مصانعها ... أفلا يعرض عليكم هذا شيئاً مما لحقكم من خسارة ؟

وابتسم الرجل ابتسامة حزينة وقال :

— حتى هذا القليل ، يا سيدى . حرمتنا منه بفضل السياسة الأمريكية التى لا تسعى إلا وراء الاقتصاد . . إن المسئولين عن الاحتلال فى ألمانيا من الأمريكيين ينقلون البضائع الواردة لألمانيا والصادرة منها عن طريق ألمانيا نفسها بدلا من أن يتبعوا المخرج الطبيعى وهو موانئ الرين كامستردام وروتردام ، وذلك حتى يوفرنا على أنفسهم تلك الرسوم التى كنا نتقاضاها منهم . وهم يتبعون طريق الموانئ الألمانية رغم طول المسافة ورغم المشاق التى تعانها التجارة منه . . .

وهكذا حرمت هولندا ، بفضل سياسة الحلفاء ، من إيرادات منتظم كان يدخل خزائنها عن طريق التجارة الألمانية . . . فهل تعجب بعد هذا إذا كانت ترجو لألمانيا - صادقة - الخلاص من الاحتلال !

وسألت محدثى بعد أن شرح لى وجهة نظره :

— ولكن . . . من الوجهة السياسية ؟ ألا تتمنون لألمانيا أن تعود إلى مكانها كدولة أوربية من دول الدرجة الأولى ؟

وأجاب الرجل متردداً : اننا شعب خلق للتجارة . . . وحب التجارة يجرى فى عروق كل هولندى . . . ولذلك فإن أول ما يهمنى أن تحيا ألمانيا من جديد لى نستفيد من تجارتها كما كنا نستفيد من قبل . . . ولكننا مع هذا لا يمكن أن ننسى ما قاسيناه أثناء الاحتلال الألمانى ، ولا يمكن أن ننسى كيف كان يمر بنا الشتاء القاسى أثناء الحرب وقد حرمتنا المحتل من كل شيء . يمكن أن نسد به الرمق أو نشعر بواسطته بالحرارة . . . ولا يمكن أن ننسى كيف كانوا يجمعون رجالنا وشبابنا ويرسلونهم للعمل فى ألمانيا تحت وابل القنابل الذى كان يسقط عليهم هناك . . .

قلت : ولكن لا يمكن أن يدب النشاط التجارى فى ألمانيا من جديد ما لم يعد لها كيانها السياسى ووحدها . . . ولو ظلت ذكرى الحرب ماثلة إلى الأبد فى أذهان شعب من الشعوب لما استقامت العلاقات بينه وبين أى شعب آخر . . .

وأجاب : إن كل شيء ينسى بعد حين . . . وأؤكد لك أننا سننسى بسرعة

أكبر لو عادت إلينا التجارة الألمانية لنصدرها من موانئنا !

وهكذا كان ، الناجر ، يتكلم !!

المنوم مشوره !

إن الحلفاء ، وخاصة حلفاء الغرب ، أى أوروبا وأمريكا قد بدأوا اليوم يتبينون أن من الخير لهم ، ولأوروبا كلها ، بل وللعالم ، أن يساعدوا ألمانيا على النهوض من كبوتها حتى لا تكون قنطرة سهلة العبور من الشرق إلى الغرب . والدول الصغيرة كهولندا تقف اليوم من الصراع الحالى بين روسيا وأمريكا موقف المتفرج الحائر الخائف المتردد الذى لا يعرف لآى فريق من الفريقين المتنازعين يصفق أو ينضم لأنه لا يعرف بالضبط لآى فريق منهما سوف يعقد النصر فى النهاية !

إن روسيا تعمل على نشر حالة من القلق والشك بين الدول الصغيرة فى حين أن أمريكا تعمل على نشر نفوذها وهى تعلم أنها خير وسيلة لنشر نفوذها فى نهاية الأمر . . . كذلك يرى المنحدث . . . !

قال لى السياسى الهولندى : « الحق أننا كغيرنا من الدول الصغيرة : فى حيرة من أمرنا . . . فان مصالحتنا التى لا شك فيها تتفق مع نهوض ألمانيا ورواج تجارتها واصلاح منطقة الروهر . وليس من مصالحتنا بئانا أن يعمل أحد على خلق أمة من المتوحشين لىكى تعيش فى قلب أوروبا وتعمل يوما ما على ازعاجها من جديد . . . كلا ! نحن لا نريد متوحشين فى قلب أوروبا ! »

وسأله : — ولكن من الذى يشجع على ايجاد هؤلاء المتوحشين فى أوروبا ؟
وابتسم معتذراً عن الاجابة الصريحة وقال :

— انهم على العموم ليسوا من الانجليز أو من الأمريكيين !

مع الغرب !

وفهمت من هذا أن هولندا تؤيد الكثرة الغربية وتميل إليها أكثر الميل ويعجب

الهولنديون بنوع خاص بأبناء أمريكا من الكنديين وذلك لأنهم كانوا أول من دخل بلادهم لينقذها من النازي أثناء الحرب . . .

واستقبلت الهولنديات الغزاة الفاتحين استقبالا حافلا كان من نتيجته أن ٢٥٠٠ فتاة هولندية تزوجن من الجنود والضباط البواسل من أبناء كندا ! وهن يعشن اليوم في كندا الى جانب أزواجهن ، وهولندا فخورة بهن وبما أحرزته من نجاح في الفوز بازواج من أمريكا . . .

وكان من نتيجة توطد العلاقات بين كندا وهولندا أيضا أن مصلحة الهجرة في هولندا ، صدرت ، إلى كندا في العام الماضي نحو ألف فلاح هولندي للاستيطان هناك والاشتغال بالزراعة ، كما أنها تبحث لغيرهم عن أماكن أخرى كالبرازيل وجنوب أفريقيا لكي تبعث بهم إليها . وهي مضطرة الى هذا العمل ، اى إلى ترحيل عدد من أبناء البلاد إلى جهات نائية ، بسبب ضيق البلاد بأهلها من ناحية وبسبب العدد الكبير من الهولنديين الذين عادوا من اندونيسيا بعد ان احتلها اليابانيون اثناء الحرب . ومعظم الذين عادوا بسبب غزو اليابان فضلوا الإقامة في هولندا باستمرار ورفضوا العودة بسبب عدم استقرار الحالة هناك ، ولا يقل عددهم عن ٨٠ ألف نسمة .

الاحزاب

وليس معنى ميل هولندا الى الكتلة الغربية أنها خالية من النفوذ الشيوعى الذى تغفل في أكثر دول أوربا . . . ولكن معناه أن نفوذ الشيوعيين هناك لا يزال ضعيفا ومستقبله غير معروف بالضبط . . .

أما الحزب صاحب الأغلبية فهو حزب الكاثوليك ويقدر أعضاؤه بنحو ٣٣ فى المائة من أهل البلاد ويليه حزب العمال ويقدر عدد أعضائه بنحو ٢٨ فى المائة

ثم البروتستنت ويقدرّون بنحو ٢٥ في المائة ، أما الحزب الشيوعي فلا يزيد عدد أعضائه حتى الآن على ١٠ في المائة !

الحكومة

والحكومة لا تضم أحداً من الشيوعيين . . . ولكن الذي يلفت النظر حقاً أن الشيوعيين في هولندا جميعهم ملكيون . . . وذلك لأن الملكة وهلمبنا محبوبة جداً ولقد اختارت المقام في فيلا صغيرة على الشاطئ بدلاً من قصر منيف ويختلف الهولنديون عن السلاف في عدم ميلهم إلى النزول بأبطالهم إلى الشارع . . . ولذلك فهم يحبون في صمت !

القصر الملكي في امستردام

ومنذ عدة أجيال وأطفال المدارس في هولندا يلقنون حقيقة غريبة من حقائق التاريخ وهي أن القصر الملكي في امستردام يقوم على ١٣٦٥٩ عموداً من الأعمدة الخشبية المتينة وذلك لأن المدينة كلها تنخفض عن سطح البحر بعدة أمتار . . . ولكن أطفال اليوم في مدارس هولندا يلقنون في دروسهم أن القصر الملكي الذي يبلغ عمره ثلاثة قرون يقوم على ١٣٦٥٨ عموداً فقط لا ١٣٦٥٩ ! ! والسبب في هذا هو أن المهندسين في المدة الأخيرة انتزعوا أحد الأعمدة لاختبار حالته ومقدرته على المقاومة بعد هذه السنوات الطويلة . . . ولقد وجدوه — بعد الاختبار — في حالة حسنة جداً حتى أنهم لم يروا داعياً لإعادته إلى مكانه في أساس القصر ! !



المشكلة الاندونيسية

كان لابد أن يتناول الحديث مع المشتغلين بالسياسة في هولندا مشكلة اندونيسيا نظرا للصلات الوثيقة التي تجمع بينها وبين بلاد الشرق العربي .

ومهما اختلفت الآراء في هولندا بشأن هذه المسألة فانها تكاد تجتمع عند نقطة واحدة . هذه النقطة هي : إن الخلاف الدموي الذي بدأ في جزر الهند بعد أن انتهت الحرب . . هذا الخلاف يجب أن يسوى بشكل من الأشكال !

ومع أنه يبدو لأول وهلة أن أغلبية الشعب تؤيد الحكومة في موقفها وسياستها فانه بما لا شك فيه أن هناك معارضة قوية لهذه السياسة سواء من اليمين أو من اليسار ويتمنى كثير من أهل هولندا - مخلصين - أن توفق هيئة الأمم إلى حل سريع للمشكلة الاندونيسية . .

ومشكلة اندونيسيا تؤثر على الاقتصاد القومي في هولندا تأثيرا مباشرا وذلك لأن الجيش الهولندي الذي يحارب الوطنيين هناك يستأثر لنفسه من ميزانية الدولة العامة بما لا يقل عن ١٤٠ مليون دولار في العام .

كنت أتحدث إلى سياسي هولندي - من رجال السلك السياسي الذين خدموا في الشرق - فقلت له :

— إنه ليدهشني حقا أن بلادكم ، وهي من البلاد التي تقدر الحرية ، وقد قاست ما قاست في الحرب بعد أن احتلها الألمان . . يدهشني أن تملك اليوم في منح شعب كشعب اندونيسيا استقلاله !

وهز الرجل رأسه أسفاً وقال لي :

— هل تظن يا سيدي أن من السهل أن يتنازل انسان عن شيء ظل في يده أجيالا . حتى أصبح جزءا من حياته . . لقد ظلت اندونيسيا في حوزتنا أكثر من ثلاثمائة عام . . فهل تعتقد أن من السهل علينا أن نتركها ؟ ألا تظن أن المسألة يجب أن تتم تدريجيا ؟

ولكن الشعب النظامي للمربية لا ينتظر !!

في زيارة لايدن

الدراسات الشرقية

مدة إقامتي في هولندا دعاني البروفيسور منسج المستشرق المعروف والأستاذ بجامعة ديوتريخت ، إلى زيارة جامعة لايدن ، وقال لي أنه أعد لي مفاجأة هناك وفي الحق أنها كانت مفاجأة لآتي عشت ساعات في لايدن ، وقد غاب عن ذهني أنني في لايدن ، أو في هولندا أو أوربا . فإلى جانب الجامعة يقوم المعهد الشرقي الذي يشرف عليه الدكتور كرامرز وهو مستشرق آخر معروف ، وفي ذلك المعهد يجد الزائر نفسه محاطاً بالكتب العربية ، ويسمع هؤلاء الأساتذة يتكلمون العربية ، ويسألونه عن أحدث المؤلفات التي ظهرت وعن أخبار المؤلفين المصريين وغيرهم من أبناء العروبة . . . كما أن الأبواب كلها تزينا أبيات من الشعر العربي كتبت بخط جميل رأيت عليه توقيع سيد إبراهيم

وقد سألتني عن الدكتور طه حسين بك وعن توفيق الحكيم وعن محمود تيمور بك وعن غيرهم من كتاب العربية ولقد دهشت لاهتمامهم البالغ باللغة العامية ولفت نظرهم إلى أن هذه اللغة في طريقها إلى الزوال إذ أننا نشجع في مصر انتشار اللغة الفصحى ولا أريد أن أطيل في وصف الزيارة ولكني أريد بهذا أن أوجه انتباه ولاية الأمور في مصر إلى مجهود ضخم كان قد شرع في القيام به بعض المستشرقين ولم يتموه إلى اليوم لأن إتمامه يحتاج إلى معاونات مالية وأدبية منتظمة ..

ذلك أن المستشرقين ونسك ومنسج كانا قد شرعا في وضع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة ومسند الدرايم وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل ، وبواسطته يمكن تحقيق جميع الأحاديث النبوية الشريفة ولو تذكر الدارس لفظة واحدة فقط من الحديث .

ولقد كان المجهود ضخماً جباراً حتى أنني رأيت حجرة بأكملها ملأتها الفهارس

والبطاقات التي أعدت للاستعانة بها في وضع المعجم . إذ استخرج الذين ساهموا في هذا العمل كل كلمة من الأحاديث النبوية الشريفة وقد بدأ هذا العمل البروفيسور ونسك منذ ٢٠ عاماً وعاونته فيه منسج ولما توفى الأول استقل الثاني بالعمل .. وقد طبع من هذا المعجم ١٧ فصلاً بمطبعة بريل في ليدن وطبع آخر جزء في عام ١٩٤٦ ثم توقف العمل بعد ذلك بسبب الحاجة إلى المال . ويظهر أن الأكاديمية الملكية الهولندية ، هي التي دفعت نفقات العمل في المدة الأخيرة ثم كفت يدها .. والعمل يحتاج لإتمامه إلى عشر سنوات أخرى إذ قدرت الأجزاء الباقية بثلاثين فصلاً (وكل سبعة فصول تؤلف جزءاً واحداً) وان هذه المستعمرة العربية التي تعمل هناك في صمت دون أن يسمع عنها أحد لتتطلع إلى مصر ، رافعة لواء الأدب العربي في الشرق ، لكي تقدم لها يد المعونة وتساعدتها على الاستمرار في جهودها التي لا تنبغى من ورائها غير خدمة العلم والبحث .

حجرة العرق !

ومن أغرب الحجرات التي مررت بها مع البروفيسور منسج والمستر ادريانسي ونحن نزور جامعة لايدن الحجرة المشهورة باسم « حجرة العرق » وهي التي يجلس فيها الطالب يوم امتحانه انتظاراً لدوره في الدخول على الممتحنين .

وقد اعتاد الطالب أثناء إنتظاره لدوره في هذه الحجرة أن يسجل اسمه على الحائط ، وقد يسجله مصحوباً بعبارة من العبارات الساخرة أو برسم شكل من الأشكال أو وجه من الوجوه المضحكة ! ليبر بالعبارة أو بالرسم عما يحول بخاطره في تلك اللحظات الحرجة من حياته ، لحظات الامتحان !

ولذلك امتلأت جدران الحجرة الأربعة بالإمضاءات والعبارات والرسوم الغريبة حتى لم يبق بها متسع لإمضاء جديد ، وتحرص إدارة الجامعة على إبقاء الحجرة على حالها منذ أجيال . وقد لحظت بين التوقيعات بعض أسماء عربية يظهر أنها توقيعات بعض طلبة أندونيسيا الذين تلقوا العلم في لايدن .

ومن التوقيعات المشهورة في هذه الحجرة توقيع « ونستون تشرشل » ، وقد وقع يوم منح الدكتوراه الفخرية من هذه الجامعة . وحرصت إدارة الجامعة على وضع قطعة صغيرة من الزجاج السميكة فوق توقيع تشرشل حتى لا يمحى .
وقد كتبت في صدر الحجرة عبارة باللغة اللاتينية ترجمها لى صديقي الأستاذ منسج قائلاً :

— ان هذه العبارة تقابل مثلاً مشهوراً عندكم في اللغة العربية ومعناها : (هنا عرقوا ولكن عرقهم . . . ماراحش بلاش !)

ويظهر من هذا أن منسج من أكبر أنصار دراسة اللغة العامية العربية ومن أكبر اندعاة للحرص عليها .

وكان من أطرف ما سمعت عن حجرة العرق أن كل خادم يتولى الخدمة بها يمكنه أن يحصل على ثروة كبيرة وذلك بارجاء استدعاء الطالب المطلوب امتحانه نظير مبلغ يتقاضاه من هذا الطالب .

وأكثر الطلبة يرجئون امتحانهم من دقيقة إلى أخرى وهم ينتظرون في حجرة العرق وذلك حتى يتم الواحد منهم مراجعة ما عليه ويزداد تثبتاً من دروسه .

قصة سيدة سالمه

ومن أغرب الروايات التي سمعتها في زيارة المعهد الشرقى بلايدن رواية « سيدة سالمه » ، أو « إيميلى روتيه » ! فقد خصصت لها بالمعهد قاعة بأكملها حليت بأبيات من الشعر العربى التي كتبها الأستاذ سيد ابراهيم . كما أن صورها في مراحل حياتها المختلفة قد علقت في ركن من الأركان . .

وسألت الدكتور كرامرز رئيس المعهد الشرقى :

— ومن تكون إيميلى روتيه ؟

وذكر لى الرجل أن إيميلى روتيه كانت ابنة أو حفيدة سلطان زنبار وقد ولدت

في عام ١٨٤٤ — أى منذ أكثر من قرن — وكان اسمها سيده سالمة . وقد أحبت في شبابه تاجراً ألمانيا اسمه روتيه كان يزور بلادها . وتمكن التاجر الألماني من التأثير على « سيده سالمة » حتى هربت معه وهجرت بلادها ، بل وقارتها الأفريقية بأسرها وتبعته الى أوروبا حيث اعتنقت المسيحية وتزوجت من روتيه وأصبح اسمها « إيميلي روتيه » . وقد أثمر هذا الزواج ولداً اسمه رودولف .

وقد نشأ رودولف بن سيده سالمة او إيميلي روتيه وهو شديد الاعتزاز بأصل أمه الشريف ، وساقته المقادير الى القاهرة في يوم ما ، قبل الحرب العالمية الثانية ، حيث تولى منصب مدير البنك الألماني في القاهرة أو الاسكندرية لا أعرف . . . رودولف روتيه هذا كان صديقاً حميماً للسشرق الكبير البروفيسور سنوكر ، ويظهر ان جبهما المشترك للشرق هو الذي جمع بينهما ، وكان يتردد عليه كثيراً . ولذلك لم يكن غريباً ان يهديه مجموعة كبيرة من الكتب العربية . واشترى المعهد الشرقى في لايدن منزل روتيه واتخذة مقراً له ، وكان من بين ما انتقل إليه مجموعة كبيرة من صور الأميرة سيده سالمة بنت سلطان زنجبار ، وهي التي رأيت بعضها على الحائط .

وكان من بين هذه الصور صورة تمثل سيده سالمة وهي جالسة على مقعد بملابسها الوطنية ، وفي كل قدم من قدميها (قبقاب) فاخر الصنع . . وقد وضعت بعض الخواتم في أصابع قدميها ! ! وكانت هذه الصورة من الصور التي أخذت لها قبل أن تهرب مع روتيه . .

وقد كتبت سيده سالمة فيما بعد ذكرياتها في كتاب كبير طبع باللغة الانجليزية وأسمته : « ذكريات أميرة عربية » .

وبلغ من اعتزاز رودولف روتيه بنفسه أن سجل على كل كتاب من الكتب التي أهداها للمعهد الشرقى بلايدن اسمه بهذه العبارة :

« رودولف سعيد روتيه ابن سالمة بنت سعيد بن سلطان حاكم عمان وزنجبار » .

ولقد ماتت سيده سالمة في عام ١٩٢٤ ، أما ابنها رودولف فقد مات بلوسرن في

عام ١٩٤٦

الطيران في هولندا

عندما قررت السفر من براج الى هولندا حجزت مقعداً في إحدى الطائرات الهولندية التي تتبع الشركة العالمية المعروفة باسم K. L. M.

وما ان وصلنا الى سماء هولندا وظهرت معالمها الجميلة المغطاة بالزهور من الجو حتى أخذت الطائرة في الهبوط واستقرت أخيراً في مطار سخيبهول وهو من أعظم مطارات أوروبا كلها . وقد حرص صديق الهولندي المسترفان فيرمسكركن ، سكرتير قسم الصحافة بالشركة ، على أن يتفقد معي المطار الكبير وكان يشعر بالفخر الشديد وهو يعرض على الطائرات الضخمة من ذوات المحركات الأربعة التي تملكها الشركة وتستعملها في أسفارها البعيدة وقد ذكر لي أن . ٤ مليوناً من الدولارات ستكون قد أنفقت على هذا المطار حتى يستكمل منشأته المختلفة إذ كان الألمان قد هدموا بقنابلهم جزءاً كبيراً منه عندما نشبت الحرب . وعندما يتم سيكون واحداً من أكبر المطارات العصرية في العالم . وهو يشغل مساحة لا تقل عن ١٢ ألف ياردة وسوف تنشأ به شرفة عالية تتسع لما يقرب من ألفي مسافر . وربما تم كل ذلك في العام القادم .

ومن الإحصائيات الطريفة التي يعرف منها القاريء مقام هذا المطار في أوروبا أن عدد الطائرات التي تهبط به أو تسافر منه لا تقل عن مائة طائرة كل يوم تحمل ما لا يقل عن ١٦٥٠ مسافر !

• • •

وإذا كان هذا هو حال مطار سخيبهول فلا أقل من أن نذكر كلمة مختصرة عن شركة النقل الجوي الهولندية الملكية وهي التي يرمز إليها بحروف K. L. M. م . ل . م . شركة النقل الجوي الهولندية الملكية وهي التي يرمز إليها بحروف K. L. M. م . ل . م . غالحق ان هذه الشركة ليست مجرد شركة تجارية ولكنها توازي ، في هولندا ، وزارة

من وزارات هذه المملكة . . . إذ أنها تضم مالا يقل عن ١٠ آلاف موظف . كما
ان أسطولها الجوى يبلغ فى الوقت الحاضر حوالى مائة طائرة ستزاد باستمرار
فى المستقبل القريب .

ويبلغ ما تقطعه طائرات K. L. M فى الوقت الحاضر من المسافات ما يقدر
بمجموعه بخمسة وسبعين ألفاً من الأميال فى كل يوم .

* * *

وقد باغ اهتمام الهولنديين بشئون الطيران حداً كبيراً حتى أصبح تلاميذ
المدارس الابتدائية مصدر إزعاج للمسؤولين عن الدعاية فى شركات الطيران . قص
على أحد رجال الـ K. L. M أن أحد تلاميذ المدارس أرسل خطاباً إلى مدير إحدى
شركات الطيران الأجنبية يطلب فيه بيانات عن هذه الشركة . وسر قسم الدعاية فى
تلك الشركة بالطلب المذكور واهتم به وأرسل إلى الطالب مجموعة كبيرة من النشرات
والمطبوعات الخاصة بالشركة وهو لا يعرف أن طالبها ليس إلا طفلاً صغير السن .
وفى الأسبوع التالى تلقى مدير الشركة عدداً كبيراً من الخطابات المماثلة للخطاب
الأول ، ومن نفس المدينة ، يطلب مرسلوها أن تبعث إليهم الشركة بالنشرات التى
تتضمن تاريخها واحصائياتها . وقد دهش المدير لهذا الطلب وصمم على أن يكتشف
سر الموضوع . . فما لبث أن ثبت له أن تلاميذ مدرسة هولندية بأسرها هم الذين
كتبوا إليه يطلبون مطبوعات عن الشركة ، وقد شجعهم على ذلك اهتمام الشركة
بالطلب الأول .

